

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[51] يفتخر بها الإنسان ويرى لنفسه امتيازاً على الآخرين. وقد ورد في الحديث الشريف أن لقمان الحكيم قال لابنه "يَا بُنَيَّ وَيْلٌ لِمَنْ تَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ، كَيْفَ يَتَعَطَّيَّ مَنْ خُلِقَ مِنْ طِينٍ، وَاللَّي طِينٍ يَعُودُ؟ لَا يَدْرِي إِلَى مَاذَا يَصِيرُ؟ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَدْ فَازَ أَوْ إِلَى النَّارِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً". وأمّا الأشخاص الذين يملكهم الغرور والتكبر بسبب جمالهم الظاهري فيجب أن يتأملوا جيداً أنَّهُم وبسبب مرض بسيط يصيب الجلد والوجه سيتحول جمالهم الباهر إلى وجه مشوه وقبيح وحتّى لو لم يصبهم ذلك المرض فإنَّهم بعد أعوام قليلة سيصلون إلى مرحلة الشيخوخة حيث يتراكم غبار السنين على وجوههم ويغيّر من ملامحه الجميلة ويحني قامتهم المستقيمة ويدبّ في مفاصلهم العجز والضعف فإذا كان ذلك الشيء المورث للفخر زائلاً بهذه السرعة، فكيف يكون سبباً للغرور والتفوق والتكبر على الآخرين؟ وإذا كان سبب التكبر هو قوته البدنية وقدرته الجسمانية فيجب أن لا ينسى أنه قد يصاب أحياناً بعارضة قلبية صغيرة أو سكتة دماغية تكون نتيجتها أن يصاب قسم من بدنه بالشلل والعجز عن الحركة تماماً بحيث لا يتمكن من دفع حتّى ويتوقف الذباب عن نفسه ولو أصابه شوكة أو خزته ابرة لا يتمكن من إخراجها أو التخلص منها لوحده. وأمّا لو كان سبب التكبر هو الثروة وكثرة المال والأعوان والأنصار فيجب أن يعلم أوّلاً: أن هذه الأمور خارجة عن وجود الإنسان ولا تمثل شيئاً من ذاته وحينئذ لا تكون من عناصر الفخر والمباهاة، فكيف يفتخر الإنسان بشخصيته وعزّته الذاتية بأُمور من قبيل السيارة أو البيت أو الحصان وأمثال ذلك؟ وكيف يتصور شرفه وكرامته في مثل هذه الأمور المادية والأجنبية عن ذاته؟ هذه الأمور يمكنها أن يملكها اللئيم من الناس وأوضاعهم نسباً وشرفاً، الأمور التي يستطيع اللصوص بكل سهولة سرقتها منه فما أهون الشرف الذي يستطيع اللصوص سرقة فيفتقده صاحبه بين عشية وضحاها. ومضافاً إلى ذلك فنحن نعلم أن الأموال والثروات الدنيوية تنتقل من يد إلى يد دائماً فالثروات الطائلة لدى الأغنياء قد تكون يوماً من نصيب الفقراء ويسكن أصحاب القصور